الجمعية الخيرية الإسلامية

منذ تأسيسها حتى الحرب العالمية الثانية

من ١٨٩٢ - ١٩٣٩

كانت مصر فى أواخر عصر إسماعيل تعانى الكثير من آثار الاستبداد، وفى وسط ذلك الجو ظهر النديم، فاهمًا سياسيًا لحقيقة أوضاع مصر، من خلال مخالطته لأصحاب الفكر والمثقفين، حتى أن ذلك الفهم السياسى، ملأ نفسه حماسًا وثورة على تلك الأوضاع الاستبدادية التى تعانى منها مصر، وما تبع ذلك من عيوب اجتماعية فى البلاد، ومادار فيها من ظلم وفساد، أدى إلى عدم مواكبة مصر للتقدم الأوربى، وأدى إلى ضعف همم المصريين، نتيجة لما رأوه من حكم الخديوى وأسرته وطبقته ومن حولهم، ممن كانوا يسلبون وينهبون خيرات مصر.

لكك ذلك اتخذ النديم من الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى ومدرستها أرضًا لغرس ما يريد أن يزرع ويحصد، عن طريق تعليم الناشئة، وفق الأسس السياسية والاجتماعية، من خلال دراستهم العلمية الأدبية.

وبعد القضاء على جمعية النديم لم تتكرر تلك التجربة الفريدة، وظلت البلاد تعانى من نقص فى العمل الخيرى السَّاد لأوجه نقص خدمات الدولة، التى كان منها عدم عنايتها بتربية وتعليم الفقراء، وإعانة المحتاجين، وقلة الخدمات المقدمة للمرضى، نتيجة لبروز النقص فى مستشفيات الدولة... الخ، حتى جاءت الفرصة المواتية لإقامة جمعية خيرية أخرى لمواجهة تلك الأوضاع ـ مصادفة ـ كما سيتبين فيما بعد، فاغتنمها قادة الفكر والرأى فى البلاد.

الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى:

فللوصول إلى الجمعية الخيرية التى يتناولها البحث، لابد من المرور على الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى، فبرغم عدم التواصل الزمنى بينهما، فالارتباط الفكرى ربما يوحدهما، وإن كانت أدواته وأساليبه مختلفة ومتغيرة، تبعاً للفترة نالتى نشأت فيها كُلاً منهما، وترجع نشأة الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى إلى عبد الله النديم، الذى ولد بالإسكندرية، ثم تردد على الجامع الأزهر، والمنصورة وغيرها، ثم عاد إلى الإسكندرية فى أوائل عام ١٨٧٩، وهنالك أخذت شمس حياته السياسية فى الظهور، وكانت أولى خطواته فى ذلك السبيل، أن اجتمع بصديقيه: محمد أفندى أمين، باشكاتب محكمة أسيوط الأهلية، ومحمد واصف أفندى محرر جريدة العدل، وكانا وقتئذ من مؤسسى جمعية مصر الفتاة، حيث كان الأول نائب رئيسها، والثانى كاتب أسرارها، وتَعَرَّفَ ليلة احتماعه بهما على كثير من أعضاء هذه الجمعية، وشرع فى بث أفكاره، ثم رأى أن جمعية مصر الفتاة سرية يخشى عليها من الحكومة، فأقنع صديقيه بالانفصال عنها فانفصلا، وتبعهما كثير من أعضائها، ثم شاورهما فى إنشاء جمعية علنية، تسعى فيما يعود على الوطن بالمنفعة، فاستصوبا رأيه. وشرع منذ ذلك الحين فى تأليف قلوب أهل الإسكندرية[١].

ويذكر النديم أنه كان يصرف الوقت مفكرًا فيما يجلبه الحكام من المقت، وأنه كان يكتب الكثير وينكر على أهل البلاد رضاهم بالإستبداد، ويؤكد أنه كلما نبه عاقلاً أسكته، ولذا لم يجد طريقًا لتنبيه الوجهاء والأمراء إلا بعصبية يكونها من الفقراء، فأخذ فى تأليف الجمعية الإسلامية بموطنه الإسكندرية، حيث اجتمع له أحد عشر رجلا، وأخذ فى إذاعتها[٢].

بعد تأليفها فى ١٨ أبريل عام ١٨٧٩[٣]،وتم افتتاحها فى عهد الخديوى إسماعيل بعد جهد وعناء طويل «وقد وضعت أساسها على فعل الخير[٤].

---

(١) الهلال، عدد ١١، ١/ ٢/ ١٨٩٧. ص ٤٠٣. عبد الله النديم، وقد أرجع البعض سبب ابتعاد النديم عن جمعية مصر الفتاة الخيرية، إلى أسباب عديدة، منها: سيطره غير المسلمين عليها، مما جعله يؤسس فى مواجهتها جمعية إسلامية خالصة وعلنية، راجع: على شلش، مصر الفتاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٨.

(٢) محمد أحمد خلف الله، عبد الله النديم ومذكراته السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٤٩.

(٣) على شلش، المرجع السابق، ص ٣٨.

(٤) المرجع السابق. ص ٤٩، وقد خطب النديم فى افتتاحها خطبة رن صداها فى الإسكندرية. راجع: أحمد بهاء الدين، أيام لها تاريخ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ص ١٩٦٧ ص ٣٠.

ومن هنا فقد تألفت الجمعية الإسلامية فى أواخر عهد إسماعيل، والقلوب واجفة، والأفكار مضطربة، واستمر ذلك الوضع حتى ولاية محمد توفيق باشا، فهدأت الأفكار، فقام النديم يثبت دعائم دعوته، حتى ظهرت الجمعية بمساعية فى ثوب الائتلاف، وكانت هى أول جمعية إسلامية أسست فى القطر المصرى، وكانت ترمى إلى غرض واحد، وهى تربية الناشئة، وبث روح المعارف فيهم لترقية الأفكار وتطهير الأخلاق[١]، أى أنها كانت ترفع مبادئ أعمال الخير والتعليم[٢].

واستحسن محمد عبده الإقدام على إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية، وتأييد الحكومة لها، حيث قابل الخديوى رجالها، وأجاب التماسهم بأن يصير ولى العهد رئيسًا عامًا للجمعية، وعندما عرض قانون الجمعية على ناظر الداخلية أقره، وبعث به إلى نظارة المعارف باعترافه وقبوله، وأصدر الأمر بتقرير الجمعية، «غير أنه لم يغض الطرف عمًا يلزم العموم نفعها، وهو مراعاة وحدة التعليم، وأن تكون موضوعات التعليم فيها مستمدة مع مافى المدارس الأميرية، ليتأتى قبول تلاميذها فى المدارس العالية، ليتمتعوا بتتميم دروسهم فيها، ونيل الشهادات الحقيقية على ما اكتسبوه من الفنون»[٣].

ويتبين مما كتبته نظارة الداخلية إلى نظارة المعارف فى شأن الجمعية الخيرية بالإسكندرية فى عام ١٨٨٠، أنه ليس بخافٍ ما نهض إليه الموفقون من أهل البر والإحسان من ذوات وجوه الثغر الإسكندرى، فى إنشاء جمعية لتعليم العلوم واللغات والصنائع النافعة، كما أنشئوا المكاتب التعليمية، ويتبين أيضًا مما كُتب أن قانون الجمعية قرر إنشاء مستشفى ومكتبة ودار ضيافة، وقرر أن من شئونها مواساة الأرامل، وتربية الأيتام، ومساعدة المصابين وقرر كذلك أن رئاستها العمومية كانت لولى العهد، وأوضح ما كُتب أن هذا المشروع من محاسن الأعمال المطابقة لأفكار الخديوى، لذا وجب قبول الجمعية وتقريرها ومعرفتها بالاسم الذى عنونت به، ولزم «تحريره لسعادتكم إخطارًا

(١) الهلال، عدد ١١، ١/ ٢/ ١٨٩٧. ص ٤٠٣، وأيضًا: جورجى زيدان، بناة النهضة العربية، دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ ص ١٥٤.

(٢) جاكوب لاندو، الحياة النيابية والأحزاب فى مصر من ١٨٦٦ ـ ١٩٥٢، ترجمة سامى الليثى، مكتبة مدبولى، القاهرة، بدون تاريخ. ص ٢٠٨.

(٣) السيد محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، حـ٢، مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٢٦. ص ٤٩ – ص ٥٠، وكان ناظر الداخلية وقتها.رياض باشا.

بذلك لتقوموا بما ينبغى... حيث اشتملت هذه الجمعية على تعليم وتدريس العلوم، مما جعلها تحت سلطة المعارف وملاحظاتها»[١].

وعلى ذلك أنشئت الجمعية الخيرية رسميًا فى الإسكندرية[٢]، فكانت جمعية علمية أدبية، برغم أن الباعث على إنشائها روح سياسية اجتماعية، وكانت هذه الجمعية تتبادل الخطب ليلا فى الموضوعات العلمية والتاريخية[٣].

وأنشأت تلك الجمعية مدرسة لتعليم الأيتام وأبناء الفقراء مجانًا، وسعى النديم حتى أكسبها رئاسة ولى العهد، مما كان أدعى لنشاطها[٤]، حيث كان إنشاء المدرسة من أهم أغراض الجمعية الخيرية الإسلامية، لتعليم الناشئة على نمط غير النمط الجاف الذى كانت تسير عليه مدارس الحكومة، ببث روح الوطنية والشعور القومى، إلى جانب مبادئ العلوم التى تعلمها تلك المدارس وقتها، وكان ذلك هدفًا جديداً دعا إليه الشعور القومى الذى كان فى طور التكوين[٥] فكانت أول مدرسة مصرية إسلامية تؤسس لذلك الهدف، وتفتتح على قواعد فعل الخير.

وتكفل النديم بتعليم الإنشاء والأدب فيها، وتمرين طلابها على الخطابة والتمثيل، كما مثل وتلاميذه بعض الروايات الناقدة لبعض العيوب الاجتماعية، مما يعنى خروجه بالمدرسة إلى الحياة العامة، فقد مثل فى بعض الملاهى العامة، التى منها «تياترو زيزينيا»، الذى مثل فيه روايتين من إنشائه هما، «الوطن وطالع التوفيق» و «العرب»، حضرهما الخديوى توفيق، ونجح فيهما النديم نجاحاً أعلى شأنه[٦].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٨١ – ص ٨٢، وقد حصلت الجمعية الخيرية بالإسكندرية على مبلغ ٢٠٠ جنيه من نظارة المعارف كإعانة لها فى ١٦ أكتوبر ١٨٨٠، دار الوثائق القومية، وثائق مجلس النظار، محفظة ٣/ ١، شركات وجمعيات، ملف ٧ص ٥٨.

(٢) وقد ذكر جورجى زيدان أنها أنشئت سنة ١٨٧٨، على حين تؤكد غالبية المراجع أنها أسست سنة ١٨٧٩ راجع جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، جـ٤، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧. ص ٨٢.

(٣) المرجع نفسه، ويبين النديم أنه لما رأى فى الناس جبناً، احتال على ذلك بجذب وزيرهم رياض الذى أعجب به، فكان يتبرع كل عام بخمسة وعشرين جنيهًا، ثم قرر للجمعية فى كل سنة ٢٠٠ جنيه من ديوان المدارس الأميرية، فزالت طباع الجبن من الناس، وصارت الجمعية فرعًا من الحكومة، راجع: محمد أحمد خلف الله، المصدر السابق. ص ٥٢.

(٤) الهلال، عدد ١١، ١/ ٢/ ١٨٩٧. ص ٤٠٤.

(٥) أحمد أمين، زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨. ص ٢١٤، وافتتحت المدرسة بحفل جمع الأمراء والوجهاء والوزراء والمحافظ ومأمور الضبطية، وجمله من أمراء الجهادية، وقام النديم فيهم خطيبًا.

(٦) محمد أحمد خلف الله، المرجع السابق، ص ٥١.

وقد بين فى الرواية الأولى ماهو جار فى البلاد من الظلم والفساد، ووجوب النظر فى تقديم الأمم، والبحث فيما يحرك السهم[١] ولذا كان لهما وقع حسن فى نفس الخديوى توفيق، مما بعثه على أن يدفع من ماله الخاص مائة جنيه مساعدة للجمعية[٢] وقد عدت المسرحية الأولى من أولى المسرحيات عن الوطن، الذى يبدو فيها شخصية تنادى بالتعاون بين المصريين، والإصلاح الاجتماعى، والوحدة الوطنية، مع مهاجمتها لتفكك المجتمع وعدم ارتباط طبقاته ببعضها، أما مسرحيه العرب فقد دعت إلى القيم الإنسانية، كالشهامة، والمروءة، وكيف يمكن الوصول إليها[٣].

تم سعى رجال المدرسة إلى توسيع دائرتها، فأستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والأجانب، وجعلوا النديم مديراً لها، فوضع لها منهجًا محكمًا، فذاعت شهرتها، حتى وصل عدد طلابها إلى أكثر من ثلاثمائة فى فترة وجيزة، مما جعل نظارة المعارف ترتب لها ٢٥٠ جنيهًا فى كل عام.

حتى أن النديم ذكر فى ذلك الصدد، أنه نبه الأفكار وفتح الأنظار، وتقرب إلى الخديوى، حتى أعطاه مدرسة البحرية لتلاميذ الجمعية، وأمره أن يمد للجمعية فرعًا فى القاهرة، وأن يقيم وكيلاً له لذلك الفرع يكون كفيلاً به، فكتب توكيلا بذلك إلى محمد بك زكى، أمين التشريفات[٤].

ولما زادت شهرة الجمعية وسمعتها، جعل النديم لها حفلة كل جمعة، وأطلق الخطابة لكل خطيب، وفتح المحاورة لكل محاور فى تلك الحفلات، حتى بلغت شهرتها وصيت مدرستها ـ على قِصَرِ مدتها ـ مالم يبلغه غيرها فى فترة طويلة، وربما يرجع ذلك إلى ما نالته من التفات كل من الخديوى توفيق وابنه عباس، وما كان يبذله النديم من العناية فى عقد الحفلات العامة فى بهو المدرسة أو خارجها[٥].

---

(١)المرجع السابق. ص ٢١٥.

(٢) الهلال، عدد ١١، ١/ ٢/ ١٨٩٧ ص ٤٠٤.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة، مطبعة الجبلاوى، القاهرة، ١٩٧٣. ص٣٣.

(٤) محمد أحمد خلف، المرجع السابق. ص ٥٠. ويرجع سعى النديم للحصول على تلك المدرسة، لما تتمتع به من اتساع وموقع رائع.

(٥) الهلال، عدد ١١، ١/ ٢/ ١٨٩٧. ص ٤٠٤.

وظلت المدرسة والجمعية تتقدمان حتى أوجس رياض خيفة من النديم بما بلغه من أحد الذوات، فعزم على فض الجمعية وتشتيت رجالها، فوسوس إلى بعض الذوات من الأعضاء وجعلهم للنديم أعداء، يعارضونه فى كل موضوع حتى يترك الجمعية بنفسه، ففطن النديم لهذه الدسيسة، ولذا لاَيَنَ أعداءه فى الجمعية، حتى اجتمع برياض باشا فى مصر، فوجده قد أضمر له شراً، فنافقه حتى أخذ منه إذنًا بجريده التنكيت، لتكون لسانه إذا ترك الجمعية، ثم أوعز الخديوى إلى النديم بإعادة رواية الوطن ، وهو يعلم بسعى رياض ويفطن، ولما هيأ النديم التلامذة وأعلن الناس بتشخيصها، سعى حسين فهمى وأحمد رفعت وغيرهما لتعطيل توزيع التذاكر، ولذا لم يحضر الحفلة إلا القليل، ومن هنا فقد نجح مخططهم، ولذا فقد ذكر النديم أنه «لما أصبحت أعلنتهم بالفراق، فإن المبادئ قد تمت، والدعوة قد عمت، وقامت الأفكار الخامدة، واتجهت إلى جهة واحدة»[1].

وبرغم ذلك فإن البعض قد ذكر أن الحسد جر بعض ذوى النفوذ إلى الإيقاع بالنديم، فَفُصِلَ من الجمعية، وأُقيل من إدارتها، نتيجة لحدوث فسادٍ بالجمعية نسبوه إليه[2] وذكر البعض الآخر أن النديم استقر على رأس المدرسة والجمعية، حتى بداية الثورة العرابية، فانفصل عنها وانضم للثورة، فانفرط عقدها[3] ومع ما فى تلك الآراء من وجاهة فإننا نميل إلى الأخذ بكلام النديم، الذى لم يستبعد الحسد منه.

ومن كل ذلك يتبين أن النديم قد قصد من وراء تلك الجمعية والمدرسة أهدافًا سياسية مغلفة بأهداف خيرية، لتحريك الناس ضد الاستبداد، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسة السيئة التى كانوا يعيشونها، ومن هنا كان تركه الجمعية لينشئ التنكيت، بعد أن نفخ فى الجمعية والمدرسة من روحه، التى انتشرت على الناس بفكره الجديد، فكانت أول انطلاقة منه إلى صفوف الشعب.

---

(١) محمد أحمد خلف الله، المرجع السابق ص ٥٢.

(٢) أحمد تيمور، تراجم أعيان القرن الثالث عشر ـ أوائل الرابع عشر، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٤. ص ١٧.

(٣) جورجى زيدان، المرجع السابق ـ ص ٨٣.

فكرة الجمعية الخيرية الإسلامية الثانية:

ترجع فكرة إنشاء هذه الجمعية إلى أن مشعوذًا روسيًا ـ (حاوى) ـ حضر إلى مصر، وربح منها بالعابه الغريبة ألوفًا كثيرة من الجنيهات، فخصص دخل آخر ليلة منها لإعانة فقراء البلد، كما هى عادته فى كل بلد يزوره، حيث كان يعطى ذلك للجمعيات الخيرية، لهذا أعطى دخل آخر ليلة فى مصر لمحافظ العاصمة إبراهيم رشدى، ليوصله إلى جمعيتها الخيرية، المفترض أنها إسلامية[١]. باعتبار أن غالبية المصريين مسلمون.

ولم يشأ المحافظ أن يوزع ذلك الدخل على الفقراء، بل استشار بعض كبار المصريين، فأحستهم تلك الاستشارة وذلك الموقف بأن من أكبر العار على مسلمى مصر، أن ليس فيها جمعية خيرية لمواساة فقرائهم وإعانتهم على معيشتهم وتربية أولادهم، فى حين أن لجميع طوائف البلاد جمعيات خيرية، فألفوا فى عام ١٨٩١[٢] لجنة من نخبة رجال مصر الداعين لرقيها وتقدمها سُميت لجنة فقراء المسلمين الوطنيين، برئاسة المحافظ إبراهيم رشدى ورعاية الخديوى، وأقامت حفلة بحديقة الأزبكية، فى يوم ١٩ أكتوبر ١٨٩٢، لمساعدة الفقراء[٣].

وبعد فترة رغبت تلك اللجنة أن تكون جمعية دائمة للاستمرار على هذه الشعائر الوطنية باسم الجمعية الخيرية الإسلامية[٤]، وكان من أعضاء تلك اللجنة سعد زغلول[٥]، ومحمد فريد[٦]، ومعهم عمر لطفى، وأخوه أحمد لطفى[٧]، ومحمد عبده، وحسن باشا عاصم، وأحمد حشمت، ودرويش السيد أحمد[٨].

---

(١) السيد محمد رشيد رضا، تأريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، جـ١، مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٢٦. ص ٧٢٧ ـ ص ٧٢٨.

(٢) الهلال، عدد ٤، ١/ ١٢/ ١٨٩٢. ص ١٣٠. الجمعية الخيرية الإسلامية.

(٣) دار الوثائق، وثائق مجلس النظام، محفظة ٣/ ١، شركات وجمعيات، ملف٧، الجمعية الخيرية الإسلامية. ص١، خطاب إلى أحمد زكى باشا سكرتير مجلس النظار، مرفق به قانون الجمعية الخيرية الإسلامية.

(٤) ومن هنا لم يكن غريبًا أن نجد بعض خطابات الجمعية يحمل عنوانها، أنها تأسست فى سنة ١٨٩١، اعتمادًا على الاعتراف بلجنة الفقراء تلك، وقد كان مقر تلك اللجنة والجمعية فى بداية تكوينها وعملها ١٥ ش الغورى بمصر، راجع: وثائق مجلس النظار، محفظة ٣/ ١، شركات وجمعيات، ملف ٧، ص ٢، وأيضًا قانون الجمعية الخيرية الإسلامية وبه مقدمة عن كيفية اليفها، وهو كتيب مودع بذلك الملف، وقد طبع فى مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٩٠٦.

(٥) عبد الخالق لاشين، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية حتى سنة ١٩٤٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.

(٦) عبد الرحمن الرافعى، مصر البعث الوطنى، حـ٣، عدده، سلسلة دراسات قومية، مركز النيل للإعلام، القاهرة، ١٩٧٩. ص١١١.

(٧) عبد الرحمن الرافعى، نقابات التعاون الزراعى، مقدمة الكتاب بقلم احمد لطفى، مطبعة النهضة الأدبية، القاهرة، ١٩١٤. ص٣.

(٨) السيد محمد رشيد رضا، المرجع السابق. ص ٧٢٨.

ولتلبية رغبتهم تلك كان عليهم أن يضعوا للجمعية قانونًا أو لائحة تنظمها وتبين أغراضها وتضبط إيقاعها، ولذا فقد وضع حسن عاصم مشروعَ نظامها، وعرضه على: محمد عبده، وسعد زغلول، وأحمد حشمت، ودرويش السيد أحمد، ثم أقره هؤلاء بعد البحث فيه[١] وبعد إعدادهم للقانون قاموا بطبعه وتوزيعه على أعضاء اللجنة ليروا رأيهم فيه[٢].

وعلى ذلك اجتمعت اللجنة التى كانت تمثل الجمعية العمومية للجمعية الخيرية الإسلامية فى ٢٠ نوفمبر عام ١٨٩٢ برئاسة إبراهيم رشدى محافظ القاهرة، وتحت رعاية الخديوى، ووافقت على مواده، وقررت عرضه على نظارة الداخلية لترى رأيها فيه، فرفعته مع رسالة منها إلى النظارة فى ٢١ نوفمبر عام ١٨٩٢[٣] وفى ٤ ديسمبر ١٨٩٢، رد مصطفى فهمى ناظر الداخلية على اللجنة، مبينًا أنه اطلع على اللائحة التى سنتها الجمعية الخيرية الإسلامية، ومشيراً إلى أن تشكيلها وإيجادها كان له من حسن الواقع ما ابتهجت له النفوس، وموضحًا أنها حققت ما كانوا يأملونه من الإحساسات الوطنية والتعاون على الأعمال الخيرية[٤].

وبذلك اعترف بالجمعية الخيرية الإسلامية رسميًا، فأُنشئت بناء على إرادة سَنِية من الخديوى، وبإقرار من نظارة الداخلية، ورئيس مجلس النظار، حيث قوبلت وحولت لجنة فقراء المسلمين الوطنيين، وطوعت قانوناً بعمل لائحة لها، كما كانت سابقاً بعضوية لجنة الفقراء، وبرئاسة إبراهيم رشدى محافظ القاهرة ورعاية الخديوى.

وجعلوا المبلغ الذى وهبه المشعوذ الروسى رأسَ مالٍ لتلك الجمعية، حيث كان يزيد على ألف جنيه، وهو مبلغ كبير بالقياس إلى تلك الفترة، وقرروا أن تقيم الجمعية احتفالات فى حديقة الأزبكية، تمارس فيه أنواع اللهو المباح، والشعوذة، ويكون دخولها بتذاكر تباع لإعانة الجمعية[٥]، بالإضافة إلى موارد أخرى حددتها اللائحة لتكون رأسَ مالٍ ودخلاً للجمعية كى تستطيع مزاولة نشاطها.

---

(١) السيد محمد رشيد رضا، المرجع السابق. ص ٧٢٨.
(٢) الهلال، عدد ٤، ١/ ١٢/ ١٨٩٢ ص ١٣٠.
(٣) دار الوثائق، وثائق مجلس النظار، محفظة ٣/ أ، شركات وجمعيات، ملف ٧، ص ٥ مقدمة قانون الجمعية الخيرية الإسلامية.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) السيد محمد رشيد رضا، المرجع السابق. ص ٧٢٨.

لائحة الجمعية:

بينت مواد لائحة الجمعية الخيرية الإسلامية، أنها شُكلت بالقاهرة تحت رعاية الخديوى بغرض مساعدة فقراء المسلمين بالقطر المصرى، والإعانة على تربيتهم، وأنه لا يجوز لها التكلم فى الموضوعات السياسية ولا المناقشة فى الموضوعات الدينية، وبينت أنها تقبل فى عضويتها كل مسلم متمتع بالحقوق المدنية، يقدم طلباً بذلك لمجلس إدارتها، ويدفع لها جنيهين مصريين سنوياً على الأقل، وأوضحت تلك اللائحة أنه يقوم بأعمال هذه الجمعية جمعيتها العمومية ومجلس الإدارة، وتختص الجمعية العمومية بانتخاب أعضاء مجلس الإدارة فى المواعيد المقررة، واعتماد حسابات الجمعية السنوية، والنظر فى المشروعات التى تقدم لها وتقرير ما تراه فيها[١].

وأوضحت مواد تلك اللائحة أنه يدير أعمال الجمعية ويقوم مقامها مجلس إدارة مؤلف من خمسة وعشرين عضوًا تنتخبهم الجمعية العمومية بالأغلبية لمدة خمس سنوات، وتعين منهم الجمعية أمينًا للصندوق، ثم ينتخب مجلس الإدارة من أعضائه رئيسًا، ووكيلين، وكاتم أسرار، ويقوم مقام الرئيس عند غيابه أحد الوكيلين،ويُقَوَّم أكبرهما سنًا، وتكون الانتخابات بالقرعة السرية، ولا يصح انتخاب أعضاء الإدارة إلا من بين أعضاء الجمعية الذين يدفعون سنويًا أربعة جنيهات على الأقل، ويُغَير مجلس الإدارة فى كل سنة خمسة من أعضائه بالقرعة فى الأربع السنين الأولى، وبعد ذلك يكون التغيير سنويًا على الأقدم فالأقدم، وأجازت اللائحة تكرار انتخاب أعضاء مجلس الإدارة الذين انقضت مدتهم[٢].

وقد وضعت مادة بين ثنايا اللائحة عُدت أساس نجاح الجمعية المالى، واستمرارها، حيث أكدت على أن نصف الدخل السنوى للجمعية يُضاف إلى رأس المال لأجل الاستغلال، والنصف الآخر يكون أكثره لتعليم أولاد الفقراء وتربيتهم، وأقله لإعانة من تثبت عند الجمعية حاجتهم[٣]، فلم تجز اللائحة فى أى حال من الأحوال لمجلس الإدارة أن يستهلك أكثر من صافى نصف الإيراد فى السنة، والباقى يستعمل للاستغلال بالطرق الشرعية[٤].

---

(١) دار الوثائق القومية، وثائق مجلس النظار، محفظة ٣/أ، شركات وجمعيات، ملف ٧، لائحة الجمعية الخيرية الإسلامية ص٢. وقد كان درويش سيد أحمد كاتب سر مجلس إدارتها منذ بداية عملها.

(٢) المرجع نفسه. ص٣.

(٣) محمد رشيد رضا، المرجع السابق. ص ٧٢٨.

(٤) دار الوثائق القومية، وثائق مجلس النظار، محفظة ٣/أ، شركات وجمعيات، ملف ٧، لائحة الجمعية الخيرية الإسلامية ص٤.

ويرجع ذلك إلى ضعف ثقتهم بأهل البلاد، فى أن يمدوا الجمعية بالاشتراك السنوى، وكان من دلائل إصابتهم فى إساءة الظن أن كثيرًا من خيار المشتركين ومن أعضاء مجلس إدارة الجمعية أيضًا، كانوا يماطلون فى دفع الاشتراك، بل يمتنعون عنه[١] وهو ما سنشير إليه فيما بعد.

كما أوضحت اللائحة أن الجمعية الخيرية الإسلامية تقبل جميع التبرعات، وبينت أن كل من رتب على نفسه سنويًا أقل من جنيهين مصريين يعد مساعدًا للجمعية[٢].

وقد واظب سعد زغلول وغيره من أعضاء الجمعية، كحسن عاصم، ومحمد عبده.. الخ، للترويج لها ولنشاطها، فقد كان سعد زغلول يقابل الأمراء والقناصل ليوزع عليهم تذاكر احتفالات الجمعية السنوية[٣] على حين عمل محمد عبده من خلالها على تحقيق إصلاح أخلاقى اجتماعى، يذكى بين أفراد الأمة روح الاعتماد على النفس، وتعويدهم الاجتماع لأجل التعاون، وإشعار قلوب أغنيائهم عاطفة الرحمة والإحسان على الفقراء[٤].

ومع عطاء نخبة رجال مصر لتلك الجمعية، وعملهم لتقدمها وانتشارها، فإنها لم تسلم مع هذه الدقة فى تنظيمها وإدارتها ـ من كيد بعض أعدائها الذين سعوا لدى سلطة الاحتلال لأجل إيقاف نشاطها، فاتهموها بأنها تساعد ثورة المهدى فى السودان ١٨٨٢ ـ ١٨٩٨ بالمال، وقدموا فى ذلك الشأن مستندات مختومة بختم مزور للجمعية ، مما أدى إلى تفتيش إدارة الجمعية، وكان محمد عبده فى ذلك الوقت غائبًا عن البلاد، ولما حضر أقنع اللورد كرومر بأن باطن الجمعية كظاهرها، وليس فيه أدنى شائبة للسياسة وأكد له أنه مستعد لتحمل كل تبعة تثبت عكس ذلك، وما كان أحد غير محمد عبده يتجرأ على ذلك، حتى أن اللورد كرومر صار يدفع إعانة للجمعية فى كل عام[٥]، مما

(١) المرجع السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) عبد الخالق لاشين، المرجع السابق. ص ٤٠.
(٤) عثمان أمين، رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده، طـ٢ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥. ص ٥٢ ـ ص٥٣.
وأيضًا: المقتطف، حـ ٣٠، عدد ١١، ١/١١/ ١٩٠٥، ص ٩١٧ ـ ص ٩١٨.
(٥) محمد رشيد رضا، المرجع السابق. نص ٧٢٩، أيضًا: المنار، جـ٨، عدد ١٧، ٣١/ ٨/ ١٩١٥. ص ٤٩٠، وكذا: المنار، تنجـ ١٥، عدد ٢، ٩/ ١٢/ ١٩١٢، ص ٩٢٥.

يوضح مدى عزيمة محمد عبده ومن ثبت معه من أصحابه، ويبين من جهة أخرى أنه لولا دوره هذا لكان قد قضى على تلك الجمعية فى مهدها.

محمد عبده والجمعية الخيرية الإسلامية:

بالاحتلال الإنجليزى فى ١١ يوليو ١٨٨٢، انتهت الثورة العرابية بنفى قادتها ومثقفيها، ومنهم محمد عبده، الذى ظل بعد عودته يعيش فى الظل، حتى اتسمت الفترة من ١٨٩٠ إلى أن توفى بأنها مرحلة اعتدال فى رأيه ومواقفه[١]، وربما كانت تلك هى الخبرة التى خرج بها من الثورة العرابية[٢].

وبرغم ذلك فقد كان محمد عبده يريد أن يسيطر على برامج التعليم فى المدارس، حتى يوجه التعليم الوجهة التى يريدها، حتى يصلح النفوس بالتوسع فى التاريخ الإسلامى، وبث مبادئ الدين الصحيح، ولما يئس من ذلك، وجه جهده إلى الجمعية الخيرية الإسلامية يضع لتلاميذها مناهجهم الدراسية، ويؤلف لهم تفاسير أجزاء القرآن[٣]. . الخ، مما يبين أن تلك الجمعية ومدارسها قد استخدمت كالجمعية السابقة، أداة لتنفيذ سياسات وطنية، فكانت كقارب لتمبير فلسفات كبيرة، سواء عند النديم وجمعيته، أو محمد عبده ومن أتى بعده فى الجمعية التى بين أيدينا، التى لابد من القول أيضًا بأن خطها الفكرى لم يحمل ثورية الجمعية الأولى.

فلقد وقف محمد عبده على رأس الداعين إلى الإصلاح كوسيلة حتمية للحصول على الجلاء، فتحصن بشعار الإصلاح العقيدى فى الدين، وفى مناهج التعليم، ومن هنا كان محمد عبده صاحب الموقف الوسط، وإمام المعتدلين فى فلسفة الإصلاح التدريجى، حيث التزم بالنهج التعليمى، لإصلاح الأمة الإسلامية عن طريق التعليم والتربية الدينية الإسلامية[٤].

---

(١) و. س. بلنت، الأفغانى ومحمد عبده، ترجمة على شلش، كتاب الهلال، عدد ٤٢١، يناير، القاهرة، ١٩٨٦. ص ٧٢ ـ ص ٨٦.

(٢) - P. M. Holt (editor): Political Social change in modern Egypt (Arther Goldschmidt. J. R., the Egyption nationalist party 1892 - 1919) London, 1968, p 312.

(٣) أحمد أمين، المرجع السابق ص ٣٣٨.

وأيضاً:

- P. J. Vatikiotis, the history of Egypt, London, 1980. P 197.

(٤) نعمان عاشور، بطولات مصرية، كتاب روز اليوسف، عدد سبتمبر، القاهرة، ١٩٧٣. ص٥.

ولما كان محمد عبده من المؤسسين للجمعية الخيرية الإسلامية، وكان له من العمل فيها ما يجعله من أبرز أعضائها، حيث كان يحض الأمراء والأثراء على الاشتراك فيها، ويحصل فى بعض الأحيان قيم الاشتراكات بنفسه، فقد عمل ما فى وسعه لارتقائها واتساع نطاقها، حيث كان يرى أن تعويد المسلمين الاجتماع للتعاون، وإشعار قلوب الأغنياء عاطفة الرحمة والإحسان على الفقراء فائدة من أكبر فوائد الجمعية[١].

وفى عام ١٩٠٠ انتخب محمد عبده رئيساً للجمعية الخيرية الإسلامية بعد إبراهيم رشدى، فزاد اجتهاده فى خدمتها، وقد ظل رئيسًا لها منذ ذلك التاريخ حتى وفاته[٢]. وقد ساعده فى موقعه هذا حسن باشا عاصم وكيل الجمعية الخيرية الإسلامية ومدير مدارسها، مما دفعه إلى أن ينفخ فى أعضائها من روحة الإصلاحى[٣] وخاصة أنه كان يتولى منصب مفتى البلاد[٤] وهو المنصب الذى ساعده أيضًا على أن ينشر فكره التعليمى[٥] عبر الجمعية الخيرية[٦] واستشارة القوم له فى كل عمل كبير يقومون به[٧].

ومما يبين نجاح الجمعية تنفى عهد رئاسته لها زيادة إيراداتها، حيث كانت فى عام ١٩٠٠ (٤٤٣٠ جنيهاً) فارتفعت إلى ١٠٣٩٥ فى عام ١٩٠٥، وكذا زيادة عدد مدارسها من ٤ إلى ٧ مدارس فى تلك الفترة، وتبعًا لذلك ارتفع عدد التلاميذ فيها من ٣١١ تلميذًا إلى ٧٦٦ تلميذًا، وارتفع عدد الأطيان التى تملكها الجمعية فى نفس الفترة من ٢٨٠ فدانًا إلى ٥٣٣ فدانًا[٨].

نشاط الجمعية التعليمى:

احتفل بأول امتحان لمدارس الجمعية فى عام ١٩٠٠، وكان لامتحان تلاميذ مدرسة مصر القاهرة، وكان محمد عبده قد تولى رئاسة الجمعية وقتها، وقد حضر الاحتفال ماهر باشا محافظ مصر، وكثير من العلماء والأعيان، وبين محمد عبده فى ذلك الحفل أن

---

(١) المقتطف، جـ٣، عدد ١١، ١/ ١١ / ١٩٠٥. ص ٩١٧ - ص ٩١٨.
(٢) Nadav safran, Egypt in search of political Community, London. 1961, p 62.
(٣) المنار، جـ٨، عدد ١٣، ٣/ ٨/ ١٩٠٥. ص ٤٩٠ - ص ٤٩١.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) أحمد أمين، محمد عبده، مؤسسة الخانجى، القاهرة، ١٩٦٠. ص ٧٩.
(٦) جاكوب لاندو، المرجع السابق. ص ٢٠٨.
(٧) الهلال، عدد ١٠، ١/ ٨/ ١٩٠٥. ص ٥٥٦، وأيضًا: جورجى زيدان، بناة النهضة العربية. ص ٨٦.
(٨) السيد محمد رشيد رضا. المرجع السابق. ص ٧٣٠. وأيضًا: المنار، عدد ١٨، ١٩/ ٧/ ١٨٩٨ ص ١٤٣.